

التأويل الحدائث عند نصر حامد أبي زيد- عرض ووصف

## The Modernist Interpretation of Nasr Hamid Abi Zaid - Presentation and Description

ذيب راضية<sup>1\*</sup>، د. بن صافية سليمان<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجزائر (1) بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

r.dib@univ-alger.dz

<sup>2</sup> جامعة الجزائر (1) بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

MADISACA2019@outlook.sa

تاريخ الاستلام: 2022/04/26 تاريخ القبول: 2022/06/05 تاريخ النشر: 2022/06/30

### ملخص:

عني هذا البحث بدراسة التأويل الحدائث عند الدكتور نصر حامد أبي زيد، وهو راجع لما شهده الفكر العربي عامة والإسلامي خاصة في الحقب الزمنية الأخيرة، من أنماط مختلفة لممارسات تأويلية وقراءات مفتوحة، ركب موجتها غرباء على الفكر الإسلامي وكذا من هم ضمن دائرة الإسلام، ساعين بذلك لإعادة تجديد التراث الإسلامي وبالأخص ما تعلق بالنص القرآني، بزعم إضفاء رؤيا معاصرة وملسات تجديدية تتماشى مع الواقع الزاهن، كل ذلك في صراع بين قداسة النص وأصالة ومنهجية فهم السلف وبين فوضوية التأويل وطعونات هؤلاء الخلف، ومن بينهم المفكر المصري نصر حامد، والذي سأعرض لبيان المقاربة التأويلية المعتمدة عنده، مع ذكر أبرز المنطلقات والمباحث التي ركز عليها، مردفة بأهم الأهداف والغايات التي سعى لتحقيقها.

الكلمات المفتاحية: نصر حامد أبو زيد - التأويل - الحدائث - الهرمينيوطيقا.

**Abstract:**

This research deals with modernist interpretation from dr. Nassr Hamid Abi Zayd perspective, due to what arab and islamic thought particularly has witnessed of various forms of interpretive practices and open reading, especially in the last decades in which strangers of the islamic thought and even who belong to the islamic religion have been involved, seeking to restore the islamic heritage, and more specifically with regard to the Qur'an purporting to bring a contemporary vision and modern touches to the current reality. All of the above in a struggle between the holiness of the scripture and the perception of the Salaf's authenticity, and between the interpretation chaos and those successors contesting. I accordingly will discuss in this paper the interpretive approach of the egyptian scholar Nassr Hamid Abi Zayd, and the most important benchmarks and courses on which he focused along with the purposes and aims he has sought to achieve.

**Keywords:** Nassr Hamid Abi Zayd; Interpretation; Modernism; Hermeneutics.

## مقدّمة:

الحمد لله الذى منّ علينا بنعمة الإسلام ونور القرآن وهدى المصطفى خير الأنام، المؤيّد بالحكمة وجوامع الكلام، عليه أفضل الصلّاة وأزكى السلام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فإنّ المولى سبحانه أنزل علينا كتابه فى منتهى الدقّة والإتقان وحسن البيان، فكان ولازال وسيظل فصل القول عند الاختصام، ولو كان من عند غير الخالق جلّ فى علاه لاعتراه الخلل والنقصان، ولأنّ ذلك شقّ على أهل الرّيح والهوى مجاراته فى عليائه فضلّوا وأضلّوا، فنشأت الدّعوة إلى الحدائى التى لا تفرّق بين أصالة المقاصد وحدائى الوسائل، ولا بين تثبيت الأصول وتجديد الفروع، ولا بين قدسية الثّوابت ورسوخها فى مقابل مدنّية الحياة وتطوّرها.

ومن بين هؤلاء نصر حامد أبوزيد، وهو من أبرز رواد الفكر المعاصر، الذين أحدثوا ضجّة فى أوساط المجتمع الإسلامى، من خلال ما طرحه من أفكار دخيلة على العلوم الشرّعية، جعلته يصنّف ضمن زمرة الحدائيين الذين جعلوا كتاباتهم معول حاولوا به هدم مقوّمات الدّين والضرب فى أصول العقائد.

والقضّية الرّئيسة التى يزعمها هذا المفكّر: "لا تتمثّل فى كيفية تجديد التراث بقدر ما تتجلى فى إعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر، ولتحقيق هذه الغاية يتبنّى آليات تحليل الخطاب فيتعامل مع النّصوص الدّينية باعتبارها نصوصا منتجة للمعنى الكلى، ويرى أنّ النّصوص المقدّسة هى نصوص لغوية موصولة بالسيّاقات الاجتماعية والثّقافية التى تشكّلت فيها.

ومن هذا المنطلق اعتنى المشروع النّقدي لنصر حامد بطرق قراءة النّصوص الدّينية، بتفكيك بناها وتبيّن مقوماتها استنادا إلى المكتسبات المعرفية المعاصرة المُستمدّة من علوم عديدة منها اللسانيات والسّيميولوجيا وتحليل الخطاب وغيرها، على أنّ أهمّ مقاربة عولّ عليها فى قراءة الموروث الدّينى هى المقاربة التّأويلية، التى يعدّها المقوم الرّئيس فى مشروعه النّقدي السّاعى لإعادة النّظر فى المسلّمات التى حولها الضّمير الدّينى إلى حقائق متعالّية عن التّاريخ.

ولذا دعا إلى التمييز بين مصدر النّص وطبيعة النّص، فبالنسبة إليه كون القرآن الكريم وحيا إلهيا، فإنّ ذلك لا ينفي عنه أنّه نصّ بشرى بالنّظر إلى أنّ الوحي قد تأنّس عندما تجسّد فى اللغة والتّاريخ، ممّا يجعل القرآن الكريم محكوما بجدلّية الثبات والتغير، فالنّصوص ثابتة فى

المنطوق متحركة متغيرة في الدلالات، والقول بألوهية مصدر النص لا ينفي واقعية محتواه، ولا ينفي انتماءه إلى البشر، وعلاقته الجدلية مع الواقع<sup>(1)</sup>.

ومن خلال ما سبق ذكره، ارتأيت تخصيص هذا البحث لبيان بعض الإشكاليات التي أحدثها المشروع التأويلي لنصر حامد أبو زيد من خلال كتاباته، وتكمن أهمية ذلك أنه ثمة فئة كبيرة متأثرة بفكره وبما دعا إليه، وبالأخص في أوساط دراسات الأدب واللسانيات والفلسفة ونحو ذلك، وكذا حجم السجال الحاصل بين تيار التجديد والقطيعة مع القديم، والتيار المتمسك بالأصول والثوابت.

وقد سعى العديد من الباحثين لبيان أسس المشروع النقدي لنصر حامد، سواء ببحوث أكاديمية أو مقالات علمية وغير ذلك بين مؤيد له ومعارض، ومنه جاءت فكرة هذا البحث بهدف بيان أهم ما اعتمد عليه نصر حامد في مشروعيه وهي المقاربة التأويلية وأسسها، معتمدة المنهج الوصفي والاستقرائي، وانتظم البحث ضمن المقدمة السالفة وثلاثة مباحث وفي الأخير خاتمة حوت أهم النتائج، وقد سعيت في هذا العمل المتواضع للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- من هو نصر حامد أبو زيد وما المقصود بالتأويل الحدائي؟.
- ما هي أبرز المنطلقات والمباحث التي ارتكز عليها في مشروعيه النقدي؟.
- وما هي أهم الدوافع والأسباب لاعتماده المقاربة التأويلية في العملية التفسيرية؟.
- وأخيرا ما الغايات والمقاصد التي سعى لتحقيقها من خلال ما طرحه؟.

<sup>(1)</sup> ينظر: مقال محمد إدريس، "قراءة في مشروع نصر حامد أبو زيد الفكري (1943م-2010م)"، 20 أفريل

## المبحث الأول: تعريفات عامّة:

المطلب الأول: ترجمة مختصرة لنصر حامد أبو زيد<sup>(1)</sup>:

### 1- نشأته وتكوينه العلمي:

الدكتور نصر حامد أبو زيد، مفكّر وباحث جامعي مصريّ معاصر، ولد في قرية قحافة طنطا محافظة الغربية في 10 من جويلية 1943 م.

حفظ القرآن الكريم وهو طفل، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين سنة 1954 م وهو فتى، واتصل بالمتصوفة وتأثر بهم في الفترة نفسها، متخصص في الدراسات الإسلاميّة قسم اللغة العربية، ومن دعاة التّجديد الدّيني وإعادة تحليل النّصوص.

منع الفقر وموت الأب نصر حامد من مواصلة الدراسة الجامعية، فاكتمى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي في 1960 م، ليواصل بعد ذلك دراسة اللغة العربية وآدابها في كليّة الآداب جامعة القاهرة عام 1967 م، ومنها تحصّل على شهادة الليسانس سنة 1972 م، وشهادة الماجستير في 1976 م، وشهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلاميّة 1979 م.

عمل في وظيفة فنيّ لاسلكي بالهيئة المصرية العامّة (1961-1972 م)، ثمّ مدرسا في جامعات القاهرة وبني سويف والخرطوم، في رتب عديدة (معيد، مدرّس مساعد، أستاذ مساعد، أستاذ)، فأستاذاً زائراً في جامعة "أوساكا" Osaka باليابان خلال الفترة الممتدة من 1985 م إلى 1989 م.

### 2. اتهامه بالإلحاد:

قدّم نصر حامد سنة 1993 م بحثا جامعيّا عنوانه نقد الخطاب الديني قصد الحصول على درجة الأستاذية في الجامعة، بيد أنّ رئيس اللجنة العلمية عبد الصبور شاهين (1929 م - 2010 م) اتهم في تقريره الباحث بالكفر والإلحاد والارتداد عن الإسلام، وسرعان ما تحوّلت المسألة إلى قضية رأي عام عندما تمّت إحالة نصر حامد على القضاء للتفريق بينه وبين زوجته عملا بمبدأ الحسبة الذي أقرّه الفقه الحنفيّ المعمول به في محكمة الأحوال الشخصية في مصر، وفي 14 جوان 1995 م أصدرت محكمة استئناف القاهرة حكم التفريق بحجّة أنّه لا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم، ليغادر نصر حامد وزوجته إلى إسبانيا فهولاندا التي تولّى فيها تدريس الفكر الإسلامي في جامعة ليدين في منذ 1995 م.

(1) ينظر: مقال لمحمّد إدريس، "قراءة في مشروع نصر حامد أبو زيد الفكري (1943-2010)", 20 أبريل 2015 م، <https://www.mominoun.com>، سمير أبو زيد، "الدكتور نصر حامد أبو زيد"، <http://www.arabphilosophers.com>.

### 3 مؤلفات نصر حامد:

تتكوّن مؤلفات نصر حامد من كتب ومقالات ومدخلات، قدّمها في ندوات ومؤتمرات إلى جانب الحوارات والترجمات ومقدّمات الكتب، وقد تعلّقت جميع كتبه وأغلب مقالاته بقضايا الفكر الديني والتراث والحداثة، نذكر منها:

#### • الكتب المؤلّفة:

وهنا سأكتفي بذكر بعض الكتب فقط والبقية سيأتي بيانها لاحقا، ومن بين مؤلفاته ما يلي:

- التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيغ والخرافة.
- القول المفيد في قصة أبو زيد.
- الخطاب الديني رؤية نقدية.
- التجديد والتحريم والتأويل.
- اليسار الإسلامي: إطلالة عامة.
- العنف الأصولي: نواب الأرض والسماء بالاشتراك مع آخرين.
- الخلافة وسلطة الأمة.
- إصلاح الفكر الإسلامي - تحليل نقدي تاريخي.
- إعادة التفكير في القرآن - نحو نظرية إنسانية في التأويل.
- صوت في المنفى: تأملات في الإسلام.

#### • المقالات العلمية:

تجاوزت مقالات نصر حامد الخمسين مقالا، حوالي 30 مقالا كُتِبَ باللغة العربية، نشرها في جرائد ومجلات محكمة وغير محكمة و25 مقالا كُتِبَ بالإنجليزية، صدرت منها خمسة مقالات ضمن الموسوعة القرآنية، ومن بين مقالاته نذكر:

- أزمة الأغنية المصرية، مجلة الأدب، القاهرة مصر، مج 9، ع 7، 1964.
- الفوازير: وظيفتها وبنائها اللغوي، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة مصر، ع 18، مارس.
- الرؤيا في التراث السردي العربي، مجلة فصول، القاهرة مصر، ديسمبر 1994.
- محاولة قراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي، مجلة الهلال، القاهرة مصر، ماي 1992م.
- هل هناك نظرية في التأويل القرآني، القدس العربي.

## • الأوسمة والجوائز:

- كرّمت مؤسسات أكاديمية وبحثية ودول نصر حامد اعترافاً منها بمنزلته العلمية وتقديراً لأعماله التجديدية، ونذكر من أهم الجوائز والأوسمة التي تحسّل عليها:
- جائزة عبد العزيز الأهواني للعلوم الإنسانية، جامعة القاهرة 1982م.
  - وسام الاستحقاق الثقافي الجمهورية التونسية، 1993م.
  - جائزة اتحاد الكتّاب الأردني لحقوق الإنسان، 1996م.
  - ميدالية حرية العبادة، مؤسسة إيلانور وتيودور روزفلت 2002م.
  - جائزة مؤسسة ابن رشد للفكر الحر، معهد فان غوته برلين ألمانيا 2005م.
4. وفاته:

توفي نصر حامد أبو زيد رحمه الله عن عمر ناهز السابعة والستين، صباح الاثنين الخامس من جويلية 2010م، بعد أسبوعين من عودته إلى مصر، وذلك بعد إصابته بفيروس غريب فشّل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، فقَدَ معه الوعي أياما قبل وفاته، وتمّ دفنه في مقابر أسرته بمنطقة قحافة بمدينة طنطا بعد صلاة العصر.

## المطلب الثاني: ضبط المفاهيم:

### 1. تعريف التأويل الحدائي:

هو مركّب إضافي، وقبل التطرق لبيان المقصود بالتأويل الحدائي، لا بد من ذكر معنى مفردتي التأويل والحدائي وكذا مفهوم الهرمينوطيقا لصلتها به، بحسب ما ذكره أهل اللغة ثم المعنى الاصطلاحي، بشكل موجز.

### أ - التّأويل:

وهو في اللغة باختصار من: "أَوَّلَ، والهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهائوه، والأوّل: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المؤنّئ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا"<sup>(1)</sup>.

وجاء في لسان العرب أن: "الأوّل: الرجوع، وأوّل إليه الشيء: رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت، وأوّل الكلام وتأوله: دبّره وقدره، وأوّله وتأوله: فسّره، وآل ماله يؤوله إيالة: إذا أصلحه وساسه، والائتيال: الإصلاح والسياسة"<sup>(2)</sup>.

(1) ينظر: ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ت: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 158/1، الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، 99.

(2) ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر-بيروت، ط3، 1414هـ، 34-32/11.

أما التَّأْوِيلُ في كلام السَّلَفِ، فيقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان:

\* أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا.

\* والمعنى الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به"<sup>(1)</sup>.

وقد ورد اصطلاح ثالث: "حادث على اللغة ومصطلح القرآن، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لقرينة تدلّ عليه، وبسبب بروز هذا المصطلح الحادث فقد صار المراد بالتأويل مشكلا"<sup>(2)</sup>، وترجع بدايات هذا المصطلح إلى حوالي القرن الخامس هجري<sup>(3)</sup>.

### ب - الحدائتي:

نسبة إلى الحدائته، وهي في اللغة من الأصل الثلاثي: "ح د ث"، والحدّث: الإبداء، والفعلُ أَدْحَثَ، وأَحْدَثَ السَّيِّءَ: أَبْدَعَهُ، وَاسْتَحْدَثَ خَبْرًا: وَجَدَ خَبْرًا جَدِيدًا، وَشَابُّ حَدَثٌ وَشَابَّةٌ حَدَثَةٌ: فَتِيَّةٌ فِي السِّنِّ، وَالْحَدَثُ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ شِبْهُ النَّازِلَةِ، وَالْحَدِيثُ: الْخَبْرُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَالْحَدِيثُ: الْجَدِيدُ مِنَ الْأَشْيَاءِ"<sup>(4)</sup>، ونلاحظ هنا أنّ الحديث يُطلق ويراد به الجديد ونقيض القديم.

أما الحدائته في الاصطلاح فهي من المفردات التي يصعب ضبط تعريف جامع مانع لها لتشعب دلالتها، بحسب اختلاف جذورها والبعد الذي تأخذه من بعد تاريخي أو اجتماعي أو فكري...، إلا أنه: "ثمّة ما يشبه الإجماع على أنّ الحدائته مرتبطة تماما بفكر حركة الاستنارة، الذي ينطلق من فكرة أنّ الإنسان هو مركز الكون وسيّده، وأنّه لا يحتاج إلّا إلى عقله سواء في دراسة الواقع أو دراسة المجتمع أو للتمييز بين الصّالح والطّالح، وفي هذا الإطار يصبح العلم هو أساس الفكر، مصدر المعنى والقيمة، والتكنولوجيا هي الآلية الأساسية في محاولة تسخير الطّبيعة، وإعادة صياغتها ليحقق الإنسان سعاده ومنفعته، والعقل هو الآلية الوحيدة للوصول إلى المعرفة"<sup>(5)</sup>.

(1) ابن تيمية، "الإكليل في المتشابه والتأويل"، دار الإيمان- مصر، 28/1.

(2) مساعد الطّيار، "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر"، دار ابن الجوزي- السعودية، ط2، 1427هـ، 103.

(3) ومتمن نقل عنهم ذلك ابن حزم، أبو الوليد الباجي، ابن الرّاعوني وابن الجوزي وغيرهم، ينظر: مساعد الطّيار، "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر"، 103-104.

(4) ينظر: الفراهيدي، "العين"، ت: مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، 177/3، الصّاحب ابن عباد، "المحيط في اللغة"، 210/1، زين الدّين الرّازي، "مختار الصّحاح"، ت: يوسف الشّيخ محمّد، المكتبة العصرية- بيروت، ط5، 1420هـ-1999م، 68.

(5) عبد الوهاب المسيري، "دراسات معرفية في الحدائته الغربية"، مكتبة الشروق الدّولية، ط1، 1427هـ-2006م، 34.

وهذا يدل على مركزية العقل في الفكر الحدائي، واعتباره الآلية المحورية والأساسية في الفهم الصحيح وتفسير كل ما يعيشه الفرد البشري وما يحيط به، فتكاد تكون قداسة العقل في الفكر الحدائي بما يضاهاى قداسة الوحي في الإسلام.

وباختصار يمكن القول أنّ الحدائفة هي: "كلّ وجهة نظر قائمة على مخلفات مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة، والتي أفرزها عصر التّنوير والحدائفة وما بعدها"<sup>(1)</sup>.  
أو بعبارة أخرى هي: "اتّجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كلّ ما كان وما هو كائن في المجتمع"<sup>(2)</sup>.

## 2. الهيرمينوطيقا:

وبالنسبة لمصطلح الهيرمينوطيقا، فحاله كحال مصطلح الحدائفة، يصعب ضبط تعريف له كما سبق الذكر، واستقصاء ما كُتب فيه يطول وليس هذا مقامه، إلّا أنّه يمكن القول بأنّ أصول الاشتقاق اللغوي لكلمة هيرمينوطيقا (HERMENEUTICS) ترجع إلى: "الفعل اليوناني HERMENEIN الذي يُترجم عادة بالفعل يفسّر (Interpret)، وتشير الكلمة اليونانية HERMEIOS إلى كاهنة PRIEST معبد دلفي، كما يشير الفعل HERMENEUEIN والاسم HERMINEIA إلى الإله المجنّج هرمس HERMES، ويبدو أنّ الكلمة قد اشتقت من اسمه أو العكس هو الصحيح.

ويجدر الذكر أنّ اسم هرمس (HERMES)<sup>(3)</sup> مرتبط بوظيفة محدّدة، وهي ترجمة ما يجاوز الفهم الإنساني إلى شكل أو صورة يمكن للعقل الإنساني إدراكها، ممّا يعني أنّ الصور المختلفة للكلمة تقترح عملية تحويل الشّيء أو الموقف الخارج نطاق الفهم إلى مجال الفهم، ويرتبط ذلك باكتشاف اللغة والكتابة بوصفهما أداتين يستخدمهما الفهم الإنساني لإدراك المعنى ونقله للأخرين"<sup>(4)</sup>.

(1) فريس بن سلين، "التأويل الحدائي لكثرة روايات الحديث النبوي"، الملتقى الدولي الثالث/ القراءات الحدائية للعلوم الإسلامية-رؤية نقدية، 1440هـ-2018م، 4.

(2) مسعد محمّد زياد، "الحدائفة مفهومها-نشأتها-روادها"، 2006م، <https://www.diwanalarab.com>.

(3) هرمس: "شخصية موعلة في القدم، يكتنف الغموض أصلها وانتماءها، فالليونانيون يعدونه يونانيا، والفرس كذلك، والمصريون القدامى يعدونه منهم، ومن العرب من يعدّه التّبي ادريس عليه السّلام..ويقال أنّه رسول آلهة الأولب الذي كان يحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة ويضمهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر، ويذكر كلّ من أطلع على الإلياذة والأوديسا أنّ هرمس كان ينقل الرّسائل من زيوس-كبير الآلهة- إلى كلّ من عداه وبخاصة من جنس الآلهة، ويتزل بها أيضا إلى مستوى البشر..، ينظر: لويس مينار، "هرمس المثلث العظيمة"، ترجمة: عبد الهادي عبّاس، دار الحصاد دمشق، ط1، 1998م، وعادل مصطفى، "فهم الفهم-مدخل إلى الهيرمينوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر"، رؤية- القاهرة، ط1، 2007م، 24.

(4) ينظر: صفاء عبد السلام علي جعفر، "هيرمينوطيقا-الأصل في العمل الفنّي- دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة"، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، 23-24.

ونلاحظ هنا ارتباط مفهوم الهرمينوطيقا بالتفسير وأنه أحد عناصرها الأساسية فهي أعمّ منه، ولعلّ هذا ما حمل البعض بالتعبير عن هذا المصطلح بلفظ التّأويل.

أمّا الهرمينوطيقا في الاصطلاح فقد أخذت تعريفات متعددة مع مرور الزمن، "ففي البداية كانت الكلمة تشير إلى علم التّأويل وبخاصة مبادئ التفسير النصي القويم، غير أن حقل الهرمينوطيقا قد تم تأويله (بترتيب زمني تقريباً) إلى :

- نظرية تفسير الكتاب المقدس.
- ميتودولوجيا فقه اللغة العام.
- علم كل فهم لغوي.
- الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية (الروحية).
- فينومينولوجيا الوجود والفهم الوجودي.
- أنساق التّأويل (سواء الإستجماعي أو التحطيمي) التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى المعنى القابع وراء الأساطير والرموز.

ويعد كل من هذه التعريفات أكثر من مجرد مرحلة تاريخية، فكل تعريف هنا يشير إلى لحظة هامة من لحظات التّأويل أو مدخل إلى مشكلات التّأويل، ويمكن الإطلاق عليها: التّأويل الإنجيلي، الفقهي اللغوي، العلمي، الإنساني، الوجودي والثّقافي على التّرتيب"<sup>(1)</sup>.

وعرّفها بول ريكور بأنّها: "نشاط فكري يقوم على أساس تفكيك رموز المعنى المختفي في المعنى الظّاهري، والكشف عن مستوى الدّلالة الضّمّنية في الدّلالات اللفظية"<sup>(2)</sup>.  
وعليه يمكن القول أنّ الهرمينوطيقا هي: "المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلّق بتأويل النّصوص"<sup>(3)</sup>.

### 3. 2. 2. التّأويل الحدائي:

وبعد بيان ما سبق ذكره، نتقل إلى معنى التّأويل الحدائي والذي يُعرف أيضاً بفلسفة التّأويل أو نظرية التّأويل أو الهرمينوطيقا- "باعتبار أنّ البعض يفضّل تعريبها بالتّأويلية أو علم التّأويل"<sup>(4)</sup>، فقد عرفه طه عبد الرحمن بأنّه: "عبارة عن النّظر في وجوه تحصيل الفهم للتّصوص،

(<sup>1</sup>) ينظر: عادل مصطفى، "فهم الفهم-مدخل إلى الهرمينوطيقا- نظرية التّأويل من أفلاطون إلى جادامر"، رؤية- القاهرة، ط1، 2007م، 66-67.

(<sup>2</sup>) محمّد بهرامي، "الهرمينوطيقا وعلم التفسير- بحث مقارن"، مجلة الحياة الطّبية، ملف الدّراسات القرآنية المعاصرة وإشكاليات هرمينوطيقا النّص الديني، السنة 03، المجلّد 04- العدد 08، 2002م، 35.

(<sup>3</sup>) عادل مصطفى، "فهم الفهم-مدخل إلى الهرمينوطيقا- نظرية التّأويل من أفلاطون إلى جادامر"، 12.

(<sup>4</sup>) بصافي رشيدة، "دراسة في بعض التكافؤات التّرجمية من وجهة نظر فعل التلقّي"، مقال منشور في مجلة معالم، ع.08، السداسي الأوّل

التأويل الحدائي عند نصر حامد أبي زيد- عرض ووصف  
ويرجع أصله إلى تفاسير التّوراة والإنجيل التي وضعها رجال اللاهوت المسيحي<sup>(1)</sup>، وهو مفارق  
للتأويل عند السلف.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك من يعترض على استخدام مصطلح الهيرومينوطيقا في اللغة  
العربية ويستهجنه، قصد الدلالة على التّأويلية، وأنه: "من أقبح ما يمكن أن ينطقه النّاطق في  
اللغة العربية، ولا تُقبل هذه التّرجمة الثّقيلة، ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت  
مصطلح التّأويل"<sup>(2)</sup>.

وفي المقابل نجد أنّ هناك من يسوّغ هذا الاستعمال ويرى بأنّ: "استعمال صيغة  
هيرومينوطيقا هو أقرب إلى روح الكلمة نفسها، فهناك دوما كلمات أجنبية في عداد المتعذر  
ترجمته"<sup>(3)</sup>.

والظّاهر هنا أنّ الإشكال راجع لغياب تأصيل المفاهيم والمصطلحات في الثّقافة العربية  
المعاصرة، والخطاب الفلسفي العربي بالتحديد، ولذا تتعدّد التّرجمات للمفهوم الغربي الواحد، ما  
يورث ضبابية الرؤية وغموض المفهوم لدى المتلقي، وكذا بسبب غياب الإلمام بالأطر المعرفية  
والتحولات التّاريخية، التي تحكم نشأة المصطلح في فضائه المعرفي الخاص به<sup>(4)</sup>.

ويلاحظ أنّ مصطلح التّأويل في الاستخدام الحديث، قد تحوّل من كونه مصطلحا متداولاً  
في مباحث النّصوص الدّينية إلى علم يبحث في آليات الفهم، وتعدّى مرحلة النّصوص الدّينية  
ليصبح علماً مستقلاً بذاته يبحث في كيفية الفهم سواء في النّصوص الدّينية أو الحقول الإنسانيّة  
وغيرها<sup>(5)</sup>.

كان هذا فيما يخصّ ضبط المفاهيم المتعلّقة بهذا البحث بشكل مختصر، لأنّ استيفاء ما  
كتب في هذه المصطلحات لا يسعه هذا المقام، لأنّ أساسه الإجابة عن الاستشكالات التي طرحها  
المشروع التّقدي لنصر حامد أبي زيد.

(1) طه عبد الرحمن، "فقه الفلسفة"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م، 38.

(2) ينظر: عبد الله مرتاض، "التّأويلية بين المقدّس والمدنّس"، مقال بمجلة عالم الفكر- الكويت، ع. 01، بتاريخ: 01/07/2000م، 263.

(3) ينظر: هانس غيورغ غادامير، "فلسفة التّأويل"، ترجمة محمّد شوقي الرّين، الدار العربية للعلوم- لبنان، ط2، 1427هـ-2006م، 34-35.

(4) ينظر: كيجل مصطفى، "الأنسنة والتّأويل في فكر أركون"، دار الأمان- الرّباط، ط1، 1432هـ-2011م، 85-86.

(5) خالد بن عبد العزيز السيف، "ظاهرة التّأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر"، مركز التّأصيل للدراسات والبحوث، ط3، 1436هـ-

2015م، 33.

### 3. أبرز المنطلقات والمباحث المرتكز عليها:

#### 1.3. المنطلقات التي اعتمدها نصر حامد:

من أهم ما يبرز في فكر نصر حامد أبو زيد هو مشروع القراءة التآويلية للنصوص القرآنية، ويمكن اعتباره أمرا مركزيا في مؤلفاته، ومن البديهي أن تكون له منطلقات ارتكز عليها في بحثه، وسأتي على ذكرها ضمن النقاط الآتية:

كما سبق الذكر أنّ مشروع القراءة التآويلية للنصوص القرآنية هو ما برز في مؤلفات نصر حامد أبي زيد، لذا تجده: "متشعبا بفكرة التآويل في نسخته الغربية، وقد اعتمد في تعريفه له على جذور خارج دائرة التفكير الإسلامي، وهي المرجعية الغربية في تعريف الهرمينوطيقا ومن ثمّ نقلوها للاصطلاح العربي ليتعاملوا مع التفسير الديني أو النص المقدس من خلالها"<sup>(1)</sup>.

كما أنّه يميّز بين التفسير والهرمينوطيقا، وذلك من خلال قوله: "ومصطلح الهرمينوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية، ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبناها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)، والهرمينوطيقا - بهذا المعنى - تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح EXEGESIS، على اعتبار أنّ هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية، بينما يشير المصطلح الأوّل إلى نظرية التفسير"<sup>(2)</sup>.

ولذا يشيد بالهرمينوطيقا ويدعو لها كقوله: "من هذا المنطلق نتعرّض لفلسفة الهرمينوطيقا في الفكر الغربي الحديث، أملين أن تضيء لنا بعض جواب القصور في رؤيتنا الثقافية عامّة، وفي رؤيتنا للعمل الأدبي خاصّة"<sup>(3)</sup>.

ويفرّق أبو زيد بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، "لأنّ الأوّل يهدف للوصول إلى معنى النص عن طريق تجميع الأدلّة التاريخية واللغوية، التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا، أي كما فهمه المعاصرون لتزول هذا النص، بينما التفسير بالرأي أو التآويل فقد نُظر إليه على أساس أنّه تفسير غير موضوعي، لأنّ المفسر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية، بل من موقفه الزاهن محاولا إيجاد سند له في القرآن.

(1) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث-دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه بإشراف: عبد الله بن محمّد القرني، جامعة أم القرى-السعودية، 1433هـ، 47، 69.

(2) نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التآويل"، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط1، 2014م، 13.

(3) نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التآويل"، 14.

ومن وجهة نظره أيضا أنه يعتبر هذا التفريق من المعضلات لأنّ التفسير بالمأثور يتجاهل المفسّر ويلغي وجوده لحساب النصّ وحقائقه التاريخية واللغوية، بينما لا يتجاهل التفسير بالرأي هذه العلاقة بل يؤكدها<sup>(1)</sup>.

ويرى نصر حامد أنّ: "إنكار أهميّة التأويل بوصفه أداة معرفية في بناء العلم وفي بناء العلوم الإنسانية خاصّة، إنكار لا يضرّ سوى منكره، فمجال التأويل يتّسع لكلّ أقسام النصّ بغضّ النظر عن كثافته الدلالية أو غموضه، وذلك لأنّ التأويل بالنسبة لأبي زيد ليس إلّا اجتهادا يفرضه تطوّر الواقع وتعدّد المجتمعات الإسلامية واختلافها"<sup>(2)</sup>.

ولذا تجده يؤكّد على أنّ أهمّ ما يميّز الحضارة العربية الإسلامية أنّها: "حضارة النصّ وبالتالي هي حضارة التأويل، لأنّ النصّ دون تأويل يفقد وجوده الحقيقي وفعاليتته، فالتأويل هو الوجه الآخر للنصّ ومنه يستمدّ حركته"<sup>(3)</sup>.

ولأجل ذلك فإنّ: "التأويل الذي يعتمده متعلّق بفهم القارئ للنصّ بغضّ النظر عن الحقيقة التي يحويها النصّ ويمتلئ بها، وينتهي إلى أنّ المعنى متغيّر ومتوتّر وليس ثابتا ممّا يمنح النصّ حياته وفعاليتته"<sup>(4)</sup>.

ويعتبر نصر حامد أنّ: "كلّ نصّ هو نصّ تاريخي، وكلّ قراءة للنصّ هي نوع من التأويل، ولكن هذه التأويلية كما يعتقد تبلغ أحيانا إلى حدّ الزعم بإمكانية الوصول إلى المعنى التاريخي الأصلي للحدث أو الوثيقة والنصّ، وهذا عنده متعذر.

كما أنّه لا يستمدّ مرجعية خطابه من عقائد الأمة التي فهمها السلف من نصوص الكتاب والسنة وتلقّتها الأمة بالقبول، ولكنّه يستمدّها من الوعي لتاريخية النصوص الدينية، لأنّه في نظره يتجاوز أطروحات الفكر الديني قديما وحديثا، ويعتمد على انجازات العلوم اللغوية خاصّة في مجال دراسة النصوص.

(1) ينظر: نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، 15-16.

(2) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث-دراسة تحليلية نقدية"، 69.

(3) ينظر: نصر حامد أبو زيد، "مفهوم النصّ - دراسة في علوم القرآن"، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط1، 2014م، 9.

(4) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث-دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه بإشراف: عبد الله بن محمّد القرني، جامعة أم القرى-السعودية، 1433هـ، 47.

ويرتكز مشروعه على منهج تحليل الخطاب ويعده علما لا استغناء عنه، لكونه يؤدّي إلى اكتشاف الدلالات المعلنة والمضمرة والمسكوت عنها في الخطاب، ولا يتوقّف عند مستوى اكتشاف الدلالة اللغوية أو السردية السّياقية، لأنّ بعض الخطابات توظف دلالات سميولوجية تحتاج للتّحليل والكشف عن بنيتها"<sup>(1)</sup>.

ونجده يتكئ على مناهج فلسفية غريبة مثل: "الفينومينولوجيا"<sup>(2)</sup> إذ تركّز على القارئ وتعتبره من يمنح النّص وجوده عن طريق الدّات الواعية، والهرمنيوطيقا لأتمّها عبارة عن فضاءات من التّأويل الذي لا يقف عند حدّ ولا قانون، إضافة إلى اعتماده على السّيميولوجيا والألسنية والأسلوبية وعلم السّرد.

وقد اعتمد في شرعنة أفكاره على التّراث المعتزلي خاصة مقولة خلق القرآن ومفهوم المجاز من جهة، وذلك لما يتمتّع به هذا الفكر في نظره من حيوية وتفاعل مع الإنسان والطّبيعة والعالم، ومن جهة أخرى يرى أنّ المتصوّفة قامت بخطوة أوسع حين رمّزت المعاني لتعبّر عن آفاق أرحب كي تفتح آفاق النّص روحيا وأخلاقيا وفلسفيا، ويحدث ذلك بفعل انفتاح دائرة التّأويل.

الشّريعة عنده لا تعني دعما سليما من النّقل أو موافقة للعقل، بقدر ما تعني طرحا ثقافيا تاريخيا، لذا نجده ينقل عن المفسّرين وعن المعتزلة وعن الفلاسفة، مستخدما هذه المقولات لإضفاء الشّريعة على قراءته التّأويلية، من أجل إثبات أنّ المفسّرين لم يكونوا بعيدين عن جوّ الجدل الكلامي الذي تعدّ مقولاتهم جزءا منه ومتأثّرة باتجاهاته"<sup>(3)</sup>.

ويُفهم من كلامه أنّه يقول بلا نهائية المعنى، كقوله أنّ: "عقل الرّجال ومستوى معرفتهم هو الذي يحدّد الدّلالة ويصوغ المعنى"<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التّراث"، 69-75 و 384-387.

(2) الفينومينولوجيا (phenomenology): هو علم وصف الظّواهر، ورد هذا اللفظ عند 'لمبرت' في كتابه 'الأرجانون الجديد' للدلالة على نظرية الظواهر الأساسية للمعرفة التجريبية، وعند كانط للدلالة على مثل هذا المعنى، وعند 'هيجل' في 'فينومينولوجيا الروح' للدلالة على المراحل التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى الوعي بالروح، ويعدّ 'هوسرل' أوّل من أطلق هذا اللفظ على فلسفة بأكملها، تصف الظواهر بدقّة وترتّبها بكل إحكام من أجل توضيحها، وحينئذ تكون معرفتنا واقعة على ماهيات بخصائصها الثابتة، فتكون كفيّلة بتأسيس علم بمعنى الكلمة"، ينظر: مراد وهبة، "المعجم الفلسفي"، دار قباء الحديثة- القاهرة، ط5، 2007م، 477.

(3) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التّراث"، 48-49، 78-79.

(4) نصر حامد أبو زيد، "الإمام الشّافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية"، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط2، 1996م، 27.

فهو بقوله هذا: "يتبني فكرة تعدد القراءات ولذلك يرى أنّ اختلاف الفرق حول المسائل المتعلقة بالاعتقادات الدينية خصوصا ما يتعلق بالله عزّ وجلّ، ظاهرة صحيحة صحيحة، وبالتالي يكون الفهم مشروعاً وصحيحاً، ودون هذا التنوع في الفهم يصبح للإسلام في نظره معنى ثابتاً لا تؤثر فيه حركة التاريخ، كما يصبح رهناً لجماعة واحدة تمتلكه وتمتلكه حق فهمه وتفسيره، وهم علماء الدين فحسب"<sup>(1)</sup>.

كما أنّه ينطلق من عدّة مسلمات بناها لمحاولة الكشف عن الآليات التي تحدّد منهجية القراءة الكاشفة، منها: "أنّه يرى أنّ أي مجال من مجالات المعرفة ليس مجالاً منفصلاً عن باقي المجالات الأخرى في سياق ثقافة محددة.

وأي نشاط فكري-في أي مجال معرفي- ليس نشاطاً مفارقاً لطبيعة المشكلات الاجتماعية التي تشغل الكائن الاجتماعي، والمفكر كائن اجتماعي يمارس فعالياته الفكرية غير منعزل أو متعال عن طبيعته الأساسية تلك.

ويرى أنّ منهجية الفكر تكتسب صفة الصدق أو عدمه من منظور رؤية العالم، التي تختلف من جماعة لأخرى داخل الثقافة الواحدة في تفاصيلها وإن تشابهت في كليتها، وحين ندخل رؤية العالم في تحليلنا للفكر، يصبح الصدق أو عدم الصدق أمورا نسبية أو تاريخية بالمعنى الاجتماعي.

ويعتبر أنّ المستقرّ والثابت في الفكر الديني الراهن ينتمي في أحيان كثيرة إلى جذور تراثية هنا وهناك، قد تكون الصلة واضحة بين الآتي الراهن وبين التراث القديم وقد لا تكون، فنحتاج إلى آليات تحليل ذات طبيعة خاصة قادرة على الحفر من أجل ردّ الأفكار إلى أصولها وبيان منشأها الإيديولوجي، وحين ينكشف الأساس الأيديولوجي لبعض ذلك المستقرّ والثابت تنتفي عنه أوصاف الحقائق الثابتة أو ما هو معروف من الدين بالضرورة.

كما يؤكّد نصر حامد أنّ للأفكار تاريخاً، وحين يتمّ طمس هذا التاريخ تتحوّل تلك الأفكار إلى عقائد، فيدخل في الدين ما ليس منه، ويصبح الاجتهاد البشري ذو الطابع الإيديولوجي نصوصاً مقدّسة"<sup>(2)</sup>.

### 2.3 . أهمّ المباحث التي ركّز عليها:

بدائي أنّ ذكر المباحث التي ركّز عليها المفكر نصر حامد أبو زيد، يحسن ذكرها من خلال سرد أهمّ مؤلفاته وما تناوله في كلّ منها، خاصّة ما له صلة بالقراءة التأويلية وهي<sup>(1)</sup>:

(1) ينظر: إبراهيم بن محمد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث"، 81.

(2) ينظر: نصر حامد أبو زيد، "الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية"، 9-12.

### أ- "الاتجاه العقلي في التفسير دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة":

ومن العنوان يمكن أن نتصوّر مضمون الكتاب، والذي تدور فكرته حول الفكر الاعتزالي وظروف نشأته، وركّز فيه على الدلالة الغوية وعلاقتها بالمعرفة، وعن أثر الفكر الاعتزالي في صوغ اللغة بين أنواع الدلالة العقلية، معتبرا شروط المعتزلة لتكون اللغة دلالة، هي بمثابة مدخل للحديث عن المجاز، وكيف أثّرت الخلافات العقائدية في العلاقة بين التّأويل والمجاز.

واعتبر نصر حامد أنّ المعتزلة هم أصحاب الفكر التّنويري في الإسلام، لأنّهم أقاموا سلطة العقل وقدموها على النّقل، ورفعوا التّناقض الظّاهري بين العقل والشّرع وبين النّصوص القرآنية فيما بينها، فقالوا بخلق القرآن، وأنجزوا عقلانية الوحي، ونجحوا في التأسيس لدراسة العلاقة بين القرآن والخطاب الإنساني، وتوصّل في نهاية بحثه إلى أنّ القول بالمجاز هو الأداة الرّئيسة للتّأويل.

### ب- "فلسفة التّأويل- دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي":

وهي تتمة للدراسة السّابقة، التي درس فيها الجانب العقلي في التّراث، وعني في هذه بالجانب الدّوقي عند الصّوفية.

وانطلق فيه من قناعة جديدة فيما يتعلّق بالنّص، حيث يرى أنّ العلاقة بين المفسّر والنّص ليست علاقة إخضاع من جانب المفسّر وخضوع من جانب النّص، ولكنها علاقة جدليّة قائمة على التّفاعل المتبادل.

وتعرّض في هذا الكتاب لمفاهيم ابن العربي بخصوص النّص القرآني، وركّز على فكرة الخيال عند ابن عربي وكيف فرّق بين ظاهر الوجود وباطنه، كما ناقش بعض القضايا كالمحكّم والمتشابه، الجبر والاختيار، الثواب والعقاب وغيرها.

### ج- "مفهوم النّص، دراسة في علوم القرآن":

وهو الأكثر جدلا، لأنّه قرّر فيه كون القرآن مُنتجًا ثقافيًا تشكّل في الواقع، ثمّ أصبح بعد ذلك مُنتجًا ثقافيًا، وأنّه نصّ لغويّ محوريّ في الثقافة العربية.

وركّز في هذه الدّراسة على جانب النّص ذاته، واكتشاف مكوّناته وآلياته الخاصّة ودوره الإيجابي في عملية التّأويل بحسب قوله، مطبّقا منهج تحليل النّصوص الذي من خلاله تنبع مصداقية النّص ودوره في الثّقافة بزعمه، وهو بهذا يؤسس للقول بتاريخية النّص القرآني.

(1) إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التّعامل مع التّراث"، 28-43.

وأشار فيه إلى قضية الأحرف السبعة وأنها استجابة للواقع الذي تعددت فيه اللهجات، ومراعاة لواقع التعدد اللغوي في الجزيرة العربية، وأنّ النص قد تعرّض لتحويل قد أخرجه عن حقيقته، وتمّ عزل حركته عن الواقع والثقافة من قبل أصحاب الاتجاه الديني - كما سمّاهم -، الذين يصفون قداسة على أشدّ فترات التراث تخلفاً ورجعية.

#### د- "نقد الخطاب الديني":

استهدف فيه أصحاب الاتجاه الديني دون تفریق بين المعتدل ولا المتطرّف، لأنّ الفارق بينهما كما يرى فارق في الدّرجة لا في النّوع، فكلاهما يعتمد على النصّ والحاكمية كعناصر ثابتة في بنية خطابه الديني، وتجاهلوا البعد التاريخي في النّصوص، وأهمّ آليات هذا الخطاب هي:

- التّوحيد بين الفكر والدين.

- ردّ الظواهر إلى مبدأ واحد.

- الاعتماد على سلطة التراث والسلف.

- اليقين الدّهني والحسم الفكري.

- إهدار البعد التاريخي.

كما ناقش مشروع اليسار الإسلامي الذي يمثله حسن حنفي، ويعيد أبو زيد مشارب هذا الاتجاه إلى عدّة مشارب منها كتابات سيّد قطب ومصطفى السباعي، ويرى أنّه امتداد طبيعي للتأويل العقلاني الذي طرحه الأفغاني ومحمّد عبده، واستناد إلى التراث العقلاني للمعتزلة وابن رشد.

#### ه- "النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة":

قدّم فيه قراءة نقدية لخطاب التّهضة، كما اشتمل على مفهوم التاريخية محاولاً فيه تأسيس تاريخية النصّ فلسفياً وعقدياً ولغوياً، مؤكداً أنّ أزلية النصّ ليست سوى تصوّر أيديولوجي، مستدعياً مسألة خلق القرآن عند المعتزلة، وناقش بنية القراءات الأيديولوجية للنصّ الديني.

وحوى الكتاب أيضاً دراسة لجذور التأويل المعاصر، وإشكالية المجاز الذي يعدّه أداة التأويل الأساسية على قانون اللغة العربية، وبحث متعلّق باللغة الدينية، وخلاصة الكتاب هو قراءة التراث الفكري الديني في الثقافة العربية الإسلامية قراءة تحليلية تفكيكية.

#### و- "الخطاب والتأويل":

ركّز في هذا الكتاب على علم تحليل الخطاب من ناحية نظرية وتطبيقية. وعن خطاب التنوير في صراعه بين الوصول إلى الهدف الذي حدّده، وبين ضغوط الخطاب الديني في السّجلات المعرفية.

وتطرقَ لكيفية تعرّض خطاب التّهضة للتلويث من قبل أصحاب الخطاب الديني كما يسمّهم، وناقش ما قدّمه محمّد أركون في بحثه عن ألسنية جديدة وأثنى على خطاب أركون بأنّه يمثّل موقفا وسطا بين الخطاب الغربي والعربي الإسلامي.

وناقش في هذا الكتاب أيضا إشكالية التّراث والتّأويل بين التّجديد والتّرديد وإشكالية التّراث لدى الحركات الإسلامية، مستحضرا إشكالية التّأويل والتّأويل المضاد وما يمكن أن يقدّمه من فتح باب الاجتهاد.

### ز- "إشكاليات القراءة وآليات التّأويل":

وتناول في هذا الكتاب مجموعة من البحوث اللغوية والنقدية والبلاغية والدينية، متعلّقة بالتّراث وإشكاليات قراءته.

وهي عبارة عن مشكلات نظرية، حيث قام بدراسة الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النّص وتاريخها في الفكر الغربي الحديث، وعلم العلامات في التّراث.

وقراءات تجريبية، والتي تناول فيها مفهوم المجاز، ومفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، ومحاولة الكشف عن آليات التّأويل في كتاب سيبويه.

وقراءات على قراءات، أين قدّم قراءات لبعض الأطروحات التي قرأت التراث، وهي قراءة أدونيس للتّراث وقراءة إلياس خوري لأزمة التّقد والإبداع.

### ح- "الإمام الشّافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية":

وهذا الكتاب عبارة عن قراءة نقدية تحليلية لنتاج الإمام الشّافعي رحمه الله، حيث اعتبر فيه أنّ ما يشاع عن الإمام الشّافعي ووسطيته لم يكن صحيحا، بل يرى أنّ الإمام الشّافعي رحمه الله كان منحازا في صفّ أصحاب الحديث في مقابل أهل الرّأي.

ومن أهمّ انتقادات أبو زيد للإمام الشّافعي رحمه الله أنّه كبّل الإنسان وألغى فاعليته بسبب حرصه على شمولية النّص الديني، وتحويل السنّة إلى نصّ مشروع لا يقلّ في دلالته التّشريعية عن النّص القرآني في حين أنّه نصّ ثانوي شارح.

واعترض عليه أنّه وسّع دائرة السنّة حين ألحق بها الإجماع، ولم يفرّق بين سنّة الوحي وسنّة العادات، وأغلق باب الاجتهاد لأنّ أبا زيد يرى أنّ القياس الذي يسمح به الشّافعي هو القياس الضيق المحبوس في النّصوص.

### ط- "هكذا تكلم ابن عربي":

تناول فيه تجربة ابن عربي الصّوفيّة وتأويلاته التي تعمل على تمييع النّص الديني، مركّزا على جدلية الوضوح والغموض- التجربة الصّوفية بين الكشف والستر-، معتقدا أنّنا في حاجة للقراءة لابن عربي لأنّه يقدّم من خلال مذهبه الصّوفي: دين الحب، الذي تجتمع فيه الأديان من

الإسلام واليهودية والتّصرائية والبوذية والكنفوشيوسية دون نبذ لبعض، لأنّ التّوحيد هو حقيقة الأديان وكلّ العقائد.

ونقل رأي ابن عربي في وحدة الوجود وعلاقة الإنسان بالخالق، وتحدّث عن اختلاف الشّرائع ووحدة التّجربة الرّوحية.

#### ي- "دوائر الخوف - قراءة في خطاب المرأة":

وهو من آخر ما ألف، وهو عبارة عن طرح لاجتهاداته التي مهّد لها سابقا، حيث انطلق من كون الإيمان بثوابت العقيدة، لم يمنع من الاجتهاد في شرحها وتأويلها، وأنّ سقف الاجتهاد لا شيء يحده ولا شروط تعوقه، سوى التمكن المعرفي والتّمرس بأدوات البحث ومناهجه التي وصل إليها العلم في عصر الباحث.

وركّز فيه على قضية المرأة التي صوّرها التّراث الإسلامي، وتعرّض للمرأة من ناحية أنثروبولوجية وكيف تعاملت معها اللغة في مقابل الذّكر، سواء لغة السّياسة أو لغة الدّين أو لغة الاجتماع وهو خطاب يعكس في نظره التخلّف ويكرّس أزمة المرأة ويحدّد من دورها وفعاليتها في المجتمع.

وتحدّث عن مثالية النّصوص الدّينية في مقابل أزمة الواقع وتناسي فعالية العقل، ويبحث فيه أيضا موقف القرآن من حقوق الإنسان ومدى تطبيق هذه الحقوق في أرض الواقع، ويبيّن فيه منهجه في التّجديد عبر القراءة السّياقية للنّصوص كمنهج لتطوير علم أصول الفقه، وتطرّق لبعض الدّراسات والنّماذج الواقعية في شأن المرأة كقانون منع تعدّد الزوجات في تونس مؤيدا له.

#### 4. أبرز الدّوافع وأهم الغايات في مشروع أبو زيد:

##### 1.4 . الدّوافع والأسباب للمقاربة التّأويلية لنصر حامد:

نجد في هذا العنصر أنّ الدّوافع والأسباب التي ستذكر، قد تتداخل بعض الشيء مع ما سيذكر في المقاصد والغايات، وأبرز الدّوافع خلف المشروع التّأويلي لنصر حامد هي كالآتي:  
- يرى أبو زيد أنّ: "النّصوص الدّينية قد تعرّضت لكثير من التّغيير المعرفي بسبب إضفاء القداسة على النّصوص الشّارحة لها، والتي يعتبرها فهما أيديولوجيا يشكّل عائقا أمام الفهم الصّحيح، ولذا نسف القواعد التي اعتمد عليها السّلف في فهم نصوص الكتاب والسنة.

- ولذا يقول بعدم لزومية فهم القرآن وفق الفهم القديم، لأنه خطاب إلهي تجسّد باللغة الإنسانية العربية، وبالتالي فهو نصّ تاريخي له وجوده الفعلي في الزّمان والمكان، ما جعله قابلاً للتّحليل وفقاً للمناهج العلمية الغربيّة، وفهمه فهماً معاصراً يتناسب والواقع الذي يعيش فيه<sup>(1)</sup>.

- كما يعتبر نصر حامد أنّ: "القرآن نصّ سرديّ بامتياز، وأنه يحكي قصصاً كان المعاصرون يعرفونها، وهو يخاطب معاصريه على قدر تصوّراتهم"<sup>(2)</sup>.

- من بين دوافعه أيضاً: "التخلّص من منهج الإيمان الأعلى واليقين الزائف والطاعة والتقليد والإتباع، وسلوك منهج الشكّ والتّحليل والنقد، الذي جعله مقابلاً لمنهج الاحتفال والتّوقير الذي يمنح القرون المفضّلة صفة الخيرية ويمنح الصّحابة صفة الإجلال ولا يجرؤ أحد على نقدهم.

دافع القول بلا نهائية المعنى، وذلك بالاعتماد على المنهج التفكيكي الذي يؤول إلى عدم إمكانية الوصول إلى المعنى الحقيقي في النصوص.

يرى أنّ الخطاب الشّرعي كونه موجهاً لجميع النّاس على اختلاف مشاربهم وقدراتهم الذّهنية، فإنّ هذه الطّبيعة الشّمولية تجعل التّأويل المجازي ضرورة من حيث أنّه الوسيلة المثلى للمحافظة على انفتاح الخطاب القرآني"<sup>(3)</sup>.

يعتقد أنّ مهمّة الفهم هي: "السّعي لكشف الغامض والمستتر من خلال الواضح والمكشوف، اكتشاف ما لم يقله النصّ من خلال ما يقوله بالفعل، وهذا الفهم للغامض والمستتر يتمّ من خلال الحوار الذي يقيمه المتلقّي مع النصّ"<sup>(4)</sup>، هذا باختصار ما يمكن قوله عمّا طرحه نصر حامد في مشروعه التّأويلي.

#### 2. 4. أهمّ المقاصد والغايات:

سبق وأن قلنا أنّ المقاصد والغايات تتقاطع مع ما ذكر في العنصر السّابق، ومن بين الغايات التي سعى نصر حامد لتّحقيقها هي<sup>(5)</sup>:

(1) ينظر: إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التّعامل مع التّراث"، 14.

(2) حسن عبّاس، مقال بعنوان: "كيف قرأ نصر حامد أبو زيد النصوص الدّينية"، شارك به سنة 2016، <https://www.irfaasawtak.com>

(3) إبراهيم بن محمّد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التّعامل مع التّراث"، 60، 386.

(4) نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التّأويل"، 36.

(5) ينظر: حسام الحدّاد، مقال بعنوان: "نصر أبو زيد قراءة في المنهج"، <https://albianola.blogspot.com>، إبراهيم بن محمّد أبو هادي،

"نصر أبو زيد ومنهجه في التّعامل مع التّراث"، 385.

جعله القرآن منتجا ثقافيا، بقوله: "إنَّ النَّصَّ في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكّل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما"<sup>(1)</sup>.

نزع القداسة عن نصوص التّراث، حيث يرى أنّ هذا الفهم الأيديولوجي يشكّل عائقا أمام الفهم الصّحيح لهذا التّراث، فدعا إلى تحويل محور الاهتمام ونقطة الانطلاق من الله عزّ وجلّ إلى المتلقّي، فهو يجعل المتلقّي بكلّ ما يحيط به من واقع اجتماعي تاريخي هو نقطة البدء والمعاد. وقد زعم أنّ دعوته ليست للتحرّر من النّصوص، بل من سلطة النّصوص النّابعة من شموليتها، لأنّ شمولية النّصوص لكّل وقائع الحياة تلغي عند نصر حامد ما تركه الله للنّاس في دنياهم لكي يتعاملوا به مع العقل والخبرة، وهذه السّلطة إنّما أضفها الإمام الشّافعي على النّصوص الدّينية.

- الاستعانة بأليات جديدة والاستفادة من المناهج الفلسفية واللغوية الحديثة كنظرية التلقّي والهرمنيوطيقا والسّيميوطيقا وتحليل الخطاب وغيرها.

- يرى ضرورة التخلّص من وهم النّظرة الموضوعية، التي تجعل المتلقّي المعاصر مكبّلا بالماضي متباعدا عن الحاضر، وبالتالي يعتقد الباحث في التّراث وفق هذه النّظرة بأنّه صاحب الفهم الصّحيح والتفسير الموضوعي.

- التّسليم بوجود علاقة جدلية بين الماضي والحاضر، وبين التّراث والباحث وبناء على هذه الجدلية يجب التّسليم أنّه لا توجد قراءة بريئة، لأنّ كلّ قارئ يبدأ من واقعه الرّاهن متّجها إلى الماضي باحثا في اتّجاهاته، وهو حين يعود للماضي الذي لا يخلو هو الآخر من طرح تحكّمه اتّجاهات العصر واختلافاته وتعدّد رؤاه، فهو لا يعود له بجملته ولكنّه يعود ليختار منه ما يناسب الموقف الرّاهن وتوجّهاته المعاصرة، وتعدّد المجتمعات واختلافها يؤدّي لتعدّد القراءات وتأثير أفق كلّ قارئ على تصوّراته وفهمه للنّص، ولهذا يقول: "إنّ التّراث مجموعة من النّصوص تتكشف دلالاتها آنا بعد أن مع كلّ قراءة جديدة، وليست كلّ قراءة جديدة إلاّ محاولة لإعادة تفسير الماضي من خلال الحاضر"<sup>(2)</sup>.

(1) نصر حامد أبو زيد، "مفهوم النص"، 24.

(2) - نصر حامد أبو زيد، "مفهوم النص"، 51.

### خاتمة:

وفي الأخير لا يسعنا إلا القول بأن الحقيقة في أصلها ساطعة لا تحتاج نفص الغبار عنها، فمن صدق إيمانه واستقامت فطرته أتى له أن يفكر كهؤلاء المشككين الطاعنين، فضلا عن أن يدافع عن مناهج غربية دخيلة بعيدة كل البعد عن القرآن والتراث الإسلامي، وما ينعق به هؤلاء أبسط ما يقال عنه أنه من رواسب سوء الفهم المتفاقم، وقد خلص هذا البحث المتواضع إلى جملة من النتائج المستخرجة مما بثّه نصر حامد أبو زيد في ما طرحه، وهي:

- نزع القداسة والعلو عن النص القرآني لأنه قد تأنسن، وصبره من كونه نصا إلهيا إلى نص بشري تاريخي، يخضع لما تخضع له بقية النصوص من مناهج النقد.

- ارتكاز مشروع أبو زيد على المناهج الغربية الحديثة لمعالجة النصوص وتفكيكها وقراءة الفكر الديني، كالميرمينوطيقا، السيميولوجيا، الفينومينولوجيا، الألسنية، الأسلوبية وغيرها، قصد التحرر من سلطة النص الديني وإضفاء لمسة تجديدية ورؤيا معاصرة.

- يعتمد على القراءة الأفقية للنص القرآني، لاعتباره القرآن منتجا ثقافيا، وهو حال من يقول بالقراءات المفتوحة وموت المؤلف.

- يعتبر التأويل ميزة الحضارة الإسلامية، ويقصد به فهم القارئ للنص بعيدا عن حقيقته، أي عدم ثبات معاني النصوص وتغير دلالتها بحسب قارئها.

- سعى لجعل القراءة الحداثية أساس الحضارة العربية، لأنه يعتبر الأمة الإسلامية أمة النص، وأن التأويل هو الوجه الآخر للنص.

- الشرعية من منظور نصر حامد هي عبارة عن طرح ثقافي لا صلة له بصحة النقل وسلامة المعنى، والعقل هو الحاكم على ما تؤول له النصوص من معانٍ ودلالات.

- يرى أن فهم السلف والنصوص الشارحة للوحي قد أخذت نوعا من القداسة والتسامي مع مرور الزمن، لذا يعتبرها فهما أيديولوجيا معيقل للفهم الصحيح.

هذا والله أعلى وأعلم، فما كان فيه من توفيق فمن الله وحده، وما كان فيه من زلل فمن نفسي ومن الشيطان.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن محمد أبو هادي، "نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث-دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه بإشراف: عبد الله بن محمد القرني، جامعة أم القرى-السعودية، 1433هـ.
- ابن تيمية، "الإكليل في المتشابه والتأويل"، دار الإيمان- مصر.
- ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.
- بصافي رشيدة، "دراسة في بعض التكافؤات الترجمية من وجهة نظر فعل التلقي"، مقال منشور في مجلة معالم، العدد 08- السداسي الأول 2017م.
- حسام الحداد، مقال بعنوان: "نصر أبو زيد قراءة في المنهج"، <https://albianola.blogspot.com>.
- حسن عباس، مقال بعنوان: "كيف قرأ نصر حامد أبو زيد النصوص الدينية"، شارك به سنة 2016، <https://www.irfaasawtak.com>.
- خالد بن عبد العزيز السيف، "ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر"، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط3، 1436هـ-2015م.
- الزاغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
- زين الدين الرازي، "مختار الصحاح"، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- بيروت، ط5، 1420هـ-1999م.
- سمير أبو زيد، "الدكتور نصر حامد أبو زيد"، <http://www.arabphilosophers.com>.
- الصحاح ابن عباد، "المحيط في اللغة".
- صفاء عبد السلام علي جعفر، "هيرمينوطيقا-الأصل في العمل الفئتي- دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة"، منشأة المعارف-الإسكندرية، 2000م.
- طه عبد الرحمن، "فقه الفلسفة"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.
- عادل مصطفى، "فهم الفهم- مدخل إلى الهرمينوطيقا- نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر"، رؤية- القاهرة، ط1، 2007م.
- عبد الله مرتاض، "التأويلية بين المقدس والمدنس"، مقال بمجلة عالم الفكر- الكويت، العدد 01، بتاريخ: 01 جويلية 2000م.
- عبد الوهاب المسيري، "دراسات معرفية في الحدائ الغربية"، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1427هـ-2006م.
- فارس بن سلين، "التأويل الحدائي لكثرة روايات الحديث النبوي"، الملتقى الدولي الثالث/ القراءات الحدائية للعلوم الإسلامية-رؤية نقدية، 1440هـ-2018م.
- الفراهيدي، "العين"، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- كيحل مصطفى، "الأنسنة والتأويل في فكر أركون"، دار الأمان- الرباط، ط1، 1432هـ-2011م.

- لويس مينار، "هرمس المثلث العظيمة"، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد دمشق، ط1، 1998م.
- محمّد إدريس، "قراءة في مشروع نصر حامد أبو زيد الفكري(1943-2010)"، 20 أبريل 2015م، <https://www.mominoun.com>.
- محمّد بهرامي، "الهرمنيوطيقا وعلم التّفسير- بحث مقارن"، مجلّة الحياة الطّبية، ملف الدّراسات القرآنية المعاصرة وإشكاليات هرمنيوطيقا النّص الدّيني، السنة 03، المجلّد 04- العدد 08، 2002م.
- مراد وهبة، "المعجم الفلسفي"، دار قباء الحديثة- القاهرة، ط5، 2007م.
- مساعد الطّيار، "مفهوم التّفسير والتّأويل والاستنباط والتّدبّر والمفسّر"، دار ابن الجوزي- السّعودية، ط2، 1427هـ.
- مسعد محمّد زياد، "الحداثة مفهومها- نشأتها-روادها"، 2006م، <https://www.diwanalarab.com>.
- نصر حامد أبو زيد، "إشكاليات القراءة وآليات التّأويل"، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط1، 2014م.
- نصر حامد أبو زيد، "الإمام الشّافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية"، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط2، 1996م.
- نصر حامد أبو زيد، "مفهوم النّص- دراسة في علوم القرآن"، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط1، 2014م.
- هانس غيورغ غادامير، "فلسفة التّأويل"، ترجمة محمّد شوقي الزّين، الدار العربية للعلوم- لبنان، ط2، 1427هـ-2006م.